فتوى فضيلة الشيخ محمد الحسن الددو في الترحم على الكفار

السؤال: فضيلة الشيخ، أحسن الله إليكم.. ثار نزاع حول حكم الترحم على الموتى من غير المسلمين، خاصة من كان لهم مساهمات في نصرة بعض القضايا الإسلامية، فأفيدونا مأجورين.

الجواب: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه الأمور محسومة شرعًا، وفيها نصوص صحيحة صريحة، ولم يختلف فيها المسلمون في أي عصر من العصور، فالإجماع منعقد فيها؛ فلذلك من المعلوم بالضرورة في الشرع أن اليهود والنصارى وأهل الملل الأخرى كلهم كفار، وأن الله حرم على من مات منهم الجنة، وحرم عليهم المغفرة.

والقرآن صريح في ذلك، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٥].

ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

ويقول: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

وكلام عيسى ابن مريم في نذارتهم صريح في القرآن، واضح تمام الوضوح، لا يحتمل أيَّ وجه آخر، فإن الله تعالى يقول: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

ويقول سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

ومن المعلوم كذلك بطلان أعمال الكفار الذين ماتوا على الكفر جميعًا، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور:٣٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣].

فالجنة لا يدخلها إلا من شهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، بعد بعثة محمد ﷺ فمنذ بعث الله محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق نسخت رسالته كل ما سبق، وأصبح هذا الدين هو المقبول وحده عند الله سبحانه وتعالى، ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه.

فمن مات بعد بعثة محمد ﷺ، وبعد بلوغ رسالته ودعوته إليه ولم يصدقه ولم يؤمن به فهو صائر إلى النار قطعًا، لا ريب في ذلك ولا شك، ولا يحل لمسلم أن يشك في ذلك، ولا أن يرتاب، ولا أن يفوض في هذا، ولا أن يتردد فيه أبدًا، فالنصوص صحيحة صريحة فيه، وآيات القرآن فيه متواترة واضحة المعنى لا إشكال فيها، وهي من المحكمات.

أما ما يتعلق بخطاب عيسى عليه السلام لربه تعالى فلا بد أن نفرق بين خطابه لبني إسرائيل وخطابه لله، فخطابه لبني إسرائيل كان بينًا واضحًا لهم، فإنه قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢]، وأما خطابه لله فإنه قال: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٧-١١٨].

فإنما تفهم هذه الآية بحملها على المحكم، فكل ما فيه احتمالات في اللفظ إنما يحمل على المحكم البين الذي لا إشكال فيه، والنصوص متواترة متكاثرة بينة في هذا، والتشبث بفهم جواز المغفرة للكفار من هذه الآية هو من اتباع المتشابه، وقد قال الله تعالى: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧].

فلذلك يحمل قوله: ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ على أنه من دلالة الاقتضاء، وهي دلالة معروفة عند الأصوليين، وهي دلالة الكلام على محذوف، لا يتم الكلام إلا به، فيكون معنى الكلام إن تهدهم فتغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، فلا يمكن أن يغفر الله لمن مات على الكفر، فقد صرح بأنه لا يفعل ذلك، وأن هذه السنة من سنن الله تعالى التي لا معقب لها.

وأما الاستغفار للكفار والترحم عليهم وقد ماتوا على الكفر فذلك من المعلوم من الدين بالضرورة كذلك أنه حرام، وأنه لا يفعله المسلمون؛ لأن الله

قال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣].

وبين الله أن الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين، فقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، وبين أن الملائكة لا يشفعون إلا لمن ارتضى، فقال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨]، ولا معنى للشفاعة في الكافر الذي مات على الكفر والشرك، فإن الله تعالى لا يمكن أن يقبل فيه شفاعة الشافعين.

والله تعالى حذر رسوله من الاستغفار للمنافقين الذين يقولون في الظاهر أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقمون الصلاة ويؤتون الزكاة في الظاهر، ولكن الله علم وأطلع رسوله ﷺ على ذلك، فقال: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٨٠]، فلا يحل للمسلمين الاستغفار للكفار مطلقًا.

والله استثنى ذلك من الاقتداء بإبراهيم، فقال: ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤]، فنحن مأمورون بالاقتداء بإبراهيم واتباع ملته، إلا في أمر واحد، وهو قوله لأبيه: ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾.

ولا فرق بين الترحم والاستغفار، فالله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فادخر عنده تسعة وتسعين رحمة لعباده المؤمنين في الجنة، وأنزل رحمة واحدة في الدنيا فيها يتراحم الخلائق فيما بينهم، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها.

وهذه الرحمة الدنيوية ينال الإنسان حظه منها ما دام حيًا، فإذا مات فحينئذ إذا كان مؤمنًا يصير إلى الرحمات الأخرى، وإذا كان كافرًا انتهى نصيبه من الرحمة نهائيًا.

ولا يمكن أن ينال شيئًا من رحمة الله، بل أولئك ﴿لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٧].

ونعم هذه الرحمة الدنيوية وسعت كل شيء، لكن في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:٧٣]، والمطر من رحمته كما قال: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم:٥٠]، والأرزاق كلها من رحمته الدنيوية التي وسعت كل شيء.

أما الرحمة الأخروية فلا تسع المشركين ولا الكفار، ولا من مات مكذبًا بمحمد ﷺ، فإن الله قال لموسى عليه السلام: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦-١٥٧].

هذا شرط صريح في القرآن لا يقبل التأويل ولا الريب ولا الشك، ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [سورة البقرة:٢]، وعلى هذا فلا يحل الترحم ولا الاستغفار لمن مات على الكفر، من أي ملة كان، سواء كان والد الإنسان أو أمه أو غير ذلك.

فإن قيل: إن حكم كفار أهل الكتاب في ذلك يختلف عن غيرهم؛ لأن الله تعالى أباح زواج الكتابيات، فتكون منهم أم المسلم، وقد أمر الله الولد بالدعاء لوالديه بالرحمة، فقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء:٢٤].

قلنا: إن إباحة الله الزواج من الكتابيات ليس رفعًا لشأنهن، بل هو رفع لشأن المسلمين؛ لأن الله تعالى وسع للمسلمين وأحل لهم ما كان حرامًا على غيرهم، وفي حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان أهل الكتاب يزعمون أن لهم شفوفًا على المشركين حتى أنزلت سورة البينة، فأنزل الله فيها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦]، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «استوت أكتافهم ورب الكعبة».

وإن كان محسنًا في جوانب أخرى فإنما يذكر إحسانه في الجوانب التي أحسن فيها فقط، كرثاء حسان بن ثابت للمطعم بن عدي بن الخيار، وقد مات على الشرك، لكنه أحسن إلى النبي ﷺ وهو مشرك؛ حمية لقرابته، ولذلك حسان بن ثابت قال:

ولو أن مجدًا خلد الدهر واحدًا من الناس أبقى مجده الدهر مطعمًا

والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر يوم بدر أنه لو كان المطعم بن عدي حيًّا فكلمه في هؤلاء النتنى لأطلقهم له، أي: في الأسرى، وهذا يدل على الاعتراف بالجميل لمن أحسن إليك، حتى لو كان مشركًا أو كافرًا، فتعترف له بالجميل

الذي فعل، وتثني عليه بما فيه من الصفات الحميدة، كثناء عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الروم بالصفات الخمس، التي في صحيح مسلم، بعد أن ذكر النبي ﷺ أنه لا تقوم الساعة إلا وهم أكثر الناس.

أما لفظ الشهيد فهو وسام شرعي عالٍ، ولقب من ألقاب التشريف، لا يطلق إلا على من يستحقه، فالكفار لا علاقة لهم بهذه الألقاب المشرفة شرعًا؛ لأنها منازل من منازل الجنة، فلا يمكن أن يوصف كافر بأنه نبي أو أنه صديق أو أنه شهيد.

فلا يمكن أن تميَّع هذه الأوصاف بأن يقال: شهيد الكرة، أو شهيد بمعنى شهد المعركة، أو شهيد قتله العدو، فلا يجوز أن نقول مثلًا: فلان الصحابي الجليل؛ لأنه صحب الرئيس الفلاني أو الزعيم الفلاني، فالصحابي الجليل هو من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات على دينه.

والشهيد هو من وصل إلى مقام الشهادة في سبيل الله، وهي مقام رفيع، من أعلى مقامات أهل الإيمان، وشرطها الإيمان، فمن لم يكن من أهل الإيمان لا تسلط له على مقامات أهل الإيمان بحال من الأحوال.

ولا يمكن إطلاق ذلك بقصد تأويل أو بنية معينة؛ لأن ذلك من تمييع النصوص وتمييع المصطلحات الشرعية، فهذه المقامات -مقام النبوة ومقام الصحبة ومقام الخلة ومقام الصديقية ومقام الشهادة ومقام الولاية- هي مقامات من مقامات الإيمان، ولا يمكن أن تتحقق لمن ليس من أهل الإيمان أصلًا، بل إن من سوء الأدب ومن الإسراف العظيم أن يوصف بها المسلم الذي هو من أهل الإيمان إذا لم يرد نص بذلك، أو تقم حجة عليه.

فإذا أطلقتَها على مسلم قتله العدو ظلمًا عدوانًا أو كان مجاهدًا في سبيل الله فاستشهد في معركة- فتقول: الشهيد إن شاء الله تعالى فلان؛ لأنك لا تجزم لأحد بعد النبي ﷺ بجنة أو نار، إلا من ورد الوحي بالشهادة له بذلك، والشهيد مجزوم له بالجنة، فلا يجزم لأحد ممن مات على الإيمان بالجنة إلا من ورد النص بذلك فيه، كأهل بدر وأهل بيعة الرضوان مثلًا، والعشرة المبشرين بالجنة، أما من سواهم فنرجو ونخاف.. نرجو له أثر إيمانه، ونعلم أن ﴿ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، ونخاف عليه عدم القبول وسيئاته.

فهذا لا بد أن يكون واضحًا بينًا، لا ريب فيه ولا إشكال، أما ما يتعلق بالتعامل مع الناس، وقول الكلام اللين لهم، والتعاطف مع المبتلَين منهم، وبالأخص من وقف معنا وناصر قضيتنا- فهذا سياسة وأمر آخر يختلف عن هذا، ولكن لا يحملنا على الكذب على الله، ولا على تمييع مصطلحات الشرع ونصوصه.

فنثني عليهم بما قدموا، نثني على شجاعتهم، أو على كرمهم، أو على وطنيتهم، أو على مقاومتهم، أو على قولهم للحق، أو صدعهم به، أو وقوفهم مع الحق، كما نثني بهذه الصفات الحميدة على عدد من أهل الجاهلية اتصفوا بالشجاعة والكرم.

نثني بالكرم على حاتم بن عبد الله الطائي، وقد مات في الجاهلية، ونثني بالشجاعة على عنترة بن عمرو بن شداد العبسي، ونثني بالمروءة على هرم بن سنان المري، وغير ذلك من الثناء عليهم بما فعلوا، وهم كفار، كما نعلم جميعًا.

ولكن لا يحملنا كفرهم على عدم العدل في خطابهم وإنصافهم، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ

ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ [البقرة:٨٣]، ويقول: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٢]، ويقول: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾ [الإسراء:٥٣]، وذلك مقتضٍ للعدل والإنصاف وعدم التجاوز.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ ﴾ [سورة المائدة:٢]، وقال: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة المائدة:٨].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم، وأن يتقبل منا ومنكم صالح العمل، وأن يلهمنا وإياكم السداد والرشاد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.